دراسات فى قصص القرآن الكريم

دكتور
مصطفى أبو طالب

الحمد لله الذى أنزل كتابه بالحق وبالحق نزل ، والصلاة والسلام على من جاء بالهدى ودين الحق سيدنا محمد — رحمة الله المهداة للعالمين . وعلى آله وصحبه — الهداة المهتدين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين. وبعـــد .. ..

فلقد اقتضت حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أن يصطفى من بينهم رسلا منهم ليكونوا أهلا لتلقى وحيه ، وحمل امانته ورسالته ليبلغوها الى من ارسلوا اليهم من الناس — « لئلا يكون للناس على الله حجة بعـد الرســـل » .

وذلك مع تأييدهم بالحجة والبرهان ، الشاهد بصدقهم فيما يبلغون عن ربهم . وقد تعددت رسالات الله ورسله على امتداد الزمن ، واختلاف أفراد جنس البشر — أمة بعد أمة — وتعددت مع ذلك أنواع تلك الحجج والبراهين باختلاف مقتضيات الأحوال — التى أحاط علم اللطيف الخبير بها ، وبما تقتضيه الحـــال فى كل زمان ومكان من التشريعات والمناهـــج وخوارق العـــادات .

وكان آخر تلك الرسالات وهؤلاء الرسل — رسالة خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد ﷺ النبى الأمى الذى أرسله الله تعالى الى الناس كافة بشيرا ونذيرا قال تعالى : **« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون »** (١) وقال عز شأنه : **« قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »** (٢)

وقال سبحانه : **« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما »** (٣) .

وقد أراد تعالى أن تكون حجة هذا النبى الأمى — الشاهدة بصدقه والدالة على نبوته ورسالته الى يوم الدين كتابا تتلى آياته ، وتتدبر معانيه ، ويلتزم بهديه الهادى الى خير البشرية وأمنها وأمانها وسعادتها فى أولاها وفى أخراها .

قال تعالى : **« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »** (٤) . وقال : **« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا »** (٥) وتنزلت آيات هذا الكتاب من رب العالمين بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب هذا النبى ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين .

قال عز شأنه : **« وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين »** (٦) .

---

(١) الآية ٢٨ من سورة سبأ
(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .
(٣) الآية ٤٠ من سورة الأحزاب .
(٤) الآية ٩ من سورة الاسراء .
(٥) الآية ٨٢ من نفس السورة
(٦) الآية ١٩٢ — ١٩٥ من سورة الشعراء .

وقرأ النبى الأمى ما نزل إليه من ربه ، وكانت المعجزة التى عجز المكابرون من أرباب البيان عن أن يأتوا بمثل أقصر سورة من سورها ، وجاءت آياتها وكان مما اشتملت عليه ذلكم القصص القرآنى ، الذى تعددت بذكره الآيات وتنوعت به القضايا والموضوعات ، التى سطرت حروفها المنزلة أقلام الخالدين من الصحابة وكتاب الوحى ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وتناقلتها من بعدهم الرجال — جيلا بعد جيل — محفوظة بحفظ العزيز العليم ، الذى قال وقوله الحق : **« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »**(٧) .

وها نحن أولاء نلتقى مع هذا القصص القرآنى فى أنواعه ، فى حكمة ذكره فى كتاب الله ، فى حكمة تكرار ما تكرر منه وما لم يتكرر ، علنا بذلك نجدد البلاغ والدعوة لمزيد من الدراسة والبحث فى آيات هذا الكتاب وفيما اشتملت عليه من الحق ، وأرشدت اليه من الهدى ، ودعت اليه من التفكر والاعتبار . وقبل أن نلتقى مع هذه الآفاق القرآنية نقدم بين يديها كلمة اجمالية عن المادة اللغوية لمعنى القصة ومدلولها حتى نبصر من خلالها الحق ، الذى يجب الايمان به عند ذكر هذا القصص القرآنى وفيها نقول وبالله التوفيق .

القصة :

مشتقة من القص ، والقص هو تتبع أثر الشىء ، للاستدلال به على حقيقة الشىء نفسه .

يقال : قصصت أثره — أى تتبعته — واقتصه وتقصصه — تتبعه (٨) . ومن ذلك قوله سبحانه : « وقالت لأخته قصيه » (٩) أى اتبعيه لتعرفى ما ينتهى اليه أمره .

---

(٧) الآية ٩ من سورة الحجر .
(٨) أنظر بصائر ذوى التمييز للفيروزيادى .
(٩) الآية ١٢ من سورة القصص .

وقوله : « **فارتدا على آثارهما قصصا** » (١٠) أى فرجع كل من موسى وفتاة عليهما السلام على آثارهما التى خلفاهما أثر سيرهما يتبعانها تتبعا دقيقيا بغية الوصول الى المقصود والمطلوب .

والقصص بفتح القاف كالقص مصدر غير أنه يطلق ويراد به الاسم والمعنى الحاصل به . ومنه قوله تعالى : « **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** » (١١) .

وقوله : « **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن** » (١٢) .

وقوله : « **فلما جاء وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** » (١٣) .

والقصص : بكسر القاف جمع قصة ، وهى الأخبار التى تقص وتذكر شيئا فشيئا للوقوف على ما وراءها من الأشخاص والأحداث والوقائع .

والقاص من يتتبع القصة ويخبر بها .

يقول أبو هلال العسكرى — فى كتابه « فروق اللغة » ولا يقال لله قاص لأن الوصف بذلك قد صار علما لمن يتخذ القصص صناعة .

ومن المادة القصاص . لأن فيه تتبعا للمعتدى ليقتص منه بمثل ما فعل قال تعالى : « **ولكم فى القصاص حياة** » (١٤) .

يقول الأستاذ : عبد الكريم الخطاب — فى كتابه « القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه « إن القص للأثر أشبه بما يعرف فى عصرنا هذا

---

(١٠) الآية ٦٤ من سورة الكهف .
(١١) الآية ١٧٦ من سورة الأعراف .
(١٢) الآية ٣ من سورة يوسف .
(١٣) الآية ٢٥ من سورة القصص .
(١٤) الآية ١٧٩ من سورة البقرة .

بتصوير « البصات » أو رفع الآثار وتصويرها ليستدل على ما وراءها من أحداث مضت وليمسك بما يقدر على امساكه منها .

وأقول : إنه بهذا البيان اللغوى لمادة قص ومشتقاتها يتضح لنا أن القصة فى القرآن انما تنبىء عن واقع حقيقى قد وقع وحدث ، وأن الله تعالى العليم الخبير الذى أحاط بكل شىء علما هو الذى أنبأ بذلك الواقع، وقصه فى هذا البيان القرآنى المعجز الذى يأخذ بالألباب .

وعليه فليست القصة فى القرآن من قبيل هذا القصص الذى لا يتقيد فيه بذكر الحقيقة نفسها أو الواقع نفسه لمخالفة ذلك لمادة قص وما تهدى اليه من معنى التتبع والتتابع لأثر الشىء ، ليستدل منه على حقيقة الشىء نفسه لا على صورته أو ما يشبه صورته .

ولهذا كانت مادة قص هى المادة الوحيدة التى تكرر ذكرها فى كتاب الله مع هذه الأنباء الماضية . وتلك دقيقة من دقائق لغة القرآن وآياته المحكمة ، التى أحكمها الله تعالى وفصلها من لدنه سبحانه .

قال عز شأنه : « **الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** » (١٥) الأمر الذى يجب أن نفطن اليه ، وان نقف عنده حتى لا ترد على ألسنتنا أو خواطرنا ونحن فى محراب الحق مثل كلمة : الله يحكى لنا — أو يحكى القرآن لنا أو ما شاكل ذلك من العبارات ، التى تختلف تماما عما تدل عليه مادة قص ومشتقاتها التى جاءت فى كتاب الله دون غيرها من أية مادة أخرى ، وتعالى الله علوا كبيرا عن أن يحكى أو يحاكى وكل شىء فى هذا الكون خلقه وملكه .

ورحم الله كلا من الأستاذين : عبد الكريم الخطيب ، محمد محمود حجازى : حيث ذكر الأول منهما فى كتابه سالف الذكر — القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه « ما يدل لهذا المعنى ويوضحه فيقول : تحت عنوان : القصة والحكاية » .

---

(١٥) الآية ١ من سورة هود

« لماذا لم يطلق على القصص القرآنى اسم الحكاية بدلا من القصص ؟

والجواب على هذا — والله أعلم — هو أن عرض القرآن للأحداث الماضيه ليس محاكاة لها ولا تمثيلا لشخوصها ومشاهدها ، وانما هو بعث لها وإعادة لوجودها فى هذا النظم المعجز الذى ينقل الينا الماضى ، أو ينقلنا اليه فنطالع هناك وجوه الحياة فى زمانها ومكانها حتى لكأننا أبناء هذه القطعة أو القطع من الزمن وأهله • فكان لفظ القصص أو القص أنسب لفظ يطلق على تلك الأنباء ، التى عرضها القرآن • اذ أن ذلك أشبه بقص أثر الشىء وتتبعه ، ثم الوقوف عليه بذاته لا على صورته أو ما يشبه صورته » •

ويقول : ونخلص من هذا كله الى القول بأن القصص القرآنى أنباء وأحداث تاريخية لم تتلبس بشىء من الخيال ، ولم يدخل عليها شىء غير الواقع ، ومع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من القصص من الاثارة والتشويق مع قيامه على الحقائق المطلقة — الأمر الذى لا يصلح عليه القصص الأدبى بحال أبدا (١٦) •

وتلك هى الأخرى مقولة الأستاذ الدكتور : محمد محمود حجازى فى رسالته « الوحدة الموضوعية فى القرآن » وفيها يقول ما نصه :

« ولا يصح أن نطلق لفظ الحكاية على هذا النوع — يعنى القصص — لأن الحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط — أما القصص فانه ينقلك بنفسك وعقلك ووجدانك الى هذا الزمان الغابر لتعيش فيه فتأخذ العبرة والعظة » (١٧) •

وأخيرا : فأعود بك معى بعد هذه المقدمة الى بيان أنواع القصص القرآنى الحق وشواهده الهادية الى هذا التنوع •

---

(١٦) القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ص ٤٥ •
(١٧) الوحدة الموضوعية فى القرآن ص ١٦٧ •

أنواع القصص القرآنى

يتنوع القصص القرآنى من حيث ما جاء به واشتمل عليه من أنباء السابقين الى ما يلى :

أولا : قصص الأنبياء والمرسلين :

وهم الذين قص الله تعالى نبأهم ، وفصل ذكرهم ، وهدى الى ما كان من أمرهم فى آيات كتابه المبين ، وقد بلغ عدد هؤلاء خمسة وعشرون رسولا ذكر منهم ثمانية عشر فى قوله :

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له اسحاق * ويعقوب كلا هدينا * ونوحا هدينا من قبل * ومن ذريته داود * وسليمان * وأيوب ويوسف * وموسى * وهارون وكذلك نجزى المحسنين * وزكريا ويحيى * وعيسى * والياس كل من الصالحين * واسماعيل واليسع * ويونس * ولوطا وكلا فضلنا على العالمين »(١٨) •

وأما السبعة الباقون فهم : ادريس * وهود * وشعيب * وصالح * وذو الكفل * وآدم * وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ وبارك عليه وعليهم أجمعين •

ثانيا : قصص الأمم والأقوام الماضية :

وهم الذين قص الله تعالى نبأهم كذلك ، وفصل ما كان من أمرهم وأحوالهم ازاء دعوة رسله ، وازاء ما جاؤهم به من الآيات والبينات من ربهم على امتداد الزمن السحيق ، ثم ما آل اليه أمر من آمن منهم ومن كفر ، أمة بعد أمة وقوما بعد قوم • ومن هؤلاء :

---

(١٨) الآية ٨٣ — ٨٦ من سورة الأنعام •

قـــوم نوح * وقـــوم هود * وقـــوم صالح * وقـــوم لوط وقوم شـــعيب * وقوم ابراهـــيم * وقـــوم موسى * وقـــوم عيسى * وغيرهم من الأقوام الذين جاء ذكرهم ونبؤهم فى آيات كتاب الله فى غير موضع من ســوره •

ثالثا : قصص بعض الأفـــراد :

وهم الذين اقتضت الحكمة الالهية ذكر ما كان من أمرهم ونبأهم فى آيات القرآن تبصرة وذكرى لأولى الألباب • ومن هؤلاء أيضا : طالوت وجالوت* والذى حاج ابراهيم ربه * والذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها* وابنى آدم * والذى آتاه الله تعالى آياته فانسلخ منها •

وأصحاب الكهف ، والرجلين اللذين ضرب الله بشأنهما المثل فى سورة الكهف وذى القرنين • وقـــارون * ولقمان وابنه * وامرأة نوح * * وامرأة خليل الله ابراهـــيم التى بشـــرت باســحاق * وأم موسى وأخته * وامرأة العزيز والنسوة اللاتى قطعن أيديهن * والتى أســلمت مع سليمان لله رب العالمين •

وغير ذلك ممن قص الله تعالى نبأهم ، وفصـــل ذكرهم فى آيات كتابه المبين ، الذى قال فيه رسول الله ﷺ •

« فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم (١٩) •

هذا ومما لا شك فيه أن وراء ذكر أنباء السابقين فى القرآن حكما ومقاصد ، تستوجب المعرفة والفقه ، لما جاءت به وارشدت اليه ، ولذا فان الله تعالى قد أمر بقص هذا القصص فقال :

« فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (٢٠)

---

(١٩) الحديث أخرجه الترمذى •
(٢٠) الآية ١٧٦ من سورة الأعراف •

كما أكد عبرة أولى الألباب بما يهدى اليه هذا القصص فى قوله ســـبحانه :

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حـــديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصـــيل كل شىء وهدى ورحمـــة لقوم يؤمنـــون » (٢١) •

وايمانا منا بما يهدى اليه هذا البيان القرآنى من التوجيه والتأكيد نذكر من حكم ذكر هذا القصص ما يلى :

---

(٢١) الآية ١١١ من سورة يوسف •

الحكمة من ذكر القصص فى القرآن

أولا : فى ذكر هذا القصص آية بينة وحجة قاطعة تشهد بصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته التى أرسل بها الى الناس كافة .

ذلك أن مادة هذا القصص انما تتعلق كما سبق أن عرفنا بذكر أنباء الماضيين من الأنبياء والمرسلين ، وغيرهم من الأمم والأفراد والجماعات والوقائع والأحداث الماضية ، تلك التى لم يكن لرسول الله محمد ﷺ ، ولم يكن لغيره من قومه علم بها ولا معرفة عنها .

الأمر الذى يدل دلالة قاطعة على صدقه ﷺ ، وأنه عبد الله ورسوله ، أوحى اليه بذلك كما أوحى الى النبيين من قبله .

والا فكيف يقص أنباء هذا القصص على هذا النحو التفصيلى الدقيق ، الذى جاء عليه فى آيات كتاب الله اذا لم يكن نبيا ورسولا يوحى اليه من عند علام الغيوب ، الذى أحاط علمه بكل شىء ، بعيده وقريبه ، ودقيقه وعظيمه .

وقد أخبر تعالى بتلك الحقيقة وهدى اليها فى مثل قوله تعالى :

« تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » (٢٢)

وقوله :

« وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور

(٢٢) الآية ٤٩ من سورة هود .

إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » (٢٣) .

وقوله :

« ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » (٢٤) .

اضف الى تلك الحقيقة ما سبقت الاشارة اليه من أميته ﷺ تلك التى أرادها الله تعالى له ، حتى تتم بذلك أوجه المعجزة الخارقة ، التى تدل على صدقه ، ووجوب التصديق بذلك فى ايمان ويقين .

قال تعالى :

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذ لارتاب المبطلون (٢٥) .

وهناك حقيقة أخرى يجب العلم بها فى هذا المقام وهى أنه ﷺ قد سئل من أعداء الدعوة على وجه التحدى له ، والتصدى لدعوته ، والوقوف فى سبيلها واثارة الشكوك حولها — سئل عن بعض قصص الأولين :

ومن ذلك :

السؤال عن فتية أصحاب الكهف وذى القرنين ، وغير ذلك مما سئل ﷺ عنه ، ونزلت بجوابه الآيات تقص عليه نبأ ما سئل عنه فى تفصيل دقيق . لم يعثر على أن أحدا من هؤلاء الذين أوعزوا بذلك قد أنكر عليه شيئا مما جاءت به الآيات التى تلاها على الناس . الأمر الذى يدل كذلك على صدقه ويهدى الى وجوب اليقين بذلك .

(٢٣) الآية ٤٤ — ٤٦ من سورة القصص .
(٢٤) الآية : ٤٤ من سورة آل عمران .
(٢٥) الآية : ٤٨ من سورة العنكبوت .

ولو أن هؤلاء الذين عموا عن الحق وانطلقوا يقولون : وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه ، حتى شق على الرسول ﷺ أمرهم وحالهم (٢٦) .

لو أنهم كانوا من أولى النهى لأدركوا أن هذا هو عين صدقه ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، وأنه ليس بمتقول كما يزعمون ، ولكنه رسول مبلغ عن الله متى جاءه الوحى وتنزل عليه بأمر ربه . والا فما الذى كان يمنعه طول هذه المدة لو لم يكن رسولا مبلغا عن الله تعالى .

قال تعـــالى :

« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » (٢٧) .

وقـــال :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين » (٢٨)

ليتهم فقهوا تلك الحقيقة وأدركوها ، وليت كل من صنع ويصنع صنيعهم يدرك هذا الأمر ، ويبصر من خلاله صدق رسول الله ﷺ ، ووجوب التصديق بما جاء به من الحق فيكون من الصادقين المصدقين ، حتى يصح ايمانه وتسلم عقيدته ، ويستقيم سلوكه على الحق المبين . وبذلك يتجلى لنا جانب من جوانب حكمة ذكر هذا القصص فى القرآن الكريم .

ثانيا : فى ذكر هذا القصص مواساة وتسلية وتثبيت لفؤاد الرسول :

وبيان ذلك أن الحق تبارك وتعالى قد أنبأه فى آيات هذا القصص القرآنى بما لقيه النبيون والمرسلون من قبله ، من قبل أعدائهم — أعداء

---

(٢٦) انظر تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير ج ٣ ص ٧١ .
(٢٧) الآية : ٣،٤ من سورة النجم .
(٢٨) الآية : ٤٤ — ٤٧ من سورة الحاقة .

الحق — الذين واجهوهم بمختلف أنواع الاهانة والتكذيب والاعراض عما جاءوهم به من الحق من ربهم ، وهم لهم ناصحون ، وعليهم خائفون ومشفقون من عذاب الله أنبأه بهذا كله مواساة وتسلية له ازاء ما لقيه من أعدائه على امتداد سنى تبليغ الدعوة .

ومما يدل لذلك قوله تعالى فى قصة رسول نوح عليه السلام :

كذبت قوم نوح المرسلين . اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . إنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليـــه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . فاتقوا الله وأطيعون . قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون . قال وما علمى بما كانوا يعملون . ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين . ان أنا الا نذير مبين . قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجـــومين . قال رب أن قومى كـــذبون ...

وقوله فى قصة رسول هود عليه السلام :

كذبت عاد المرسلين . اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون . انى أخاف عليكم عذاب عظيم . قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . ان هذا الا خلق الأولين . وما نحن بمعذبين ...

وقـــوله فى قصة رسول الله صالح عليه السلام :

كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . أتتركون فى ما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع

وتخل طلعها هضيم • وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين • فاتقوا الله وأطيعون • ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون • قالوا انما أنت من المسحرين •

ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين •

وقوله فى قصة رسول الله لوط عليه السلام :

كذبت قوم لوط المرسلين • اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون • فاتقوا الله وأطيعون • وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين • أتأتون الذكران من العالمين •

وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل أنتم قوم عادون • قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين • قال انى لعملكم من القالين •

وقوله فى قصة رسول الله شعيب عليه السلام :

كذب أصحاب الأيكة المرسلين • اذ قال لهم شعيب ألا تتقون • انى لكم رسول أمين • فاتقوا الله وأطيعون • وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين • أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين •

وزنوا بالقسطاس المستقيم • ولا تبخسوا للناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين • واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين • قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين • فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين • قال ربى أعلم بما تعملون (٢٩) •

(٢٩) الآيات من : ١٠٥ ـ ١٨٨ من سورة الشعراء •

وقوله : فى قصة رسول الله ابراهيم عليه السلام

ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين • اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون • قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين •

قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين • قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين • قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين • وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين • فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون • قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين • قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم • قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون • قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم • قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوا ان كانوا ينطقون • فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون • ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون • قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين • قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (٣٠)

وقوله فى قصة رسول الله موسى عليه السلام :

واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين • قوم فرعون الا يتقون •

قال ربى انى أخاف أن يكذبون • ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هارون • ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون • قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون • فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين • أن أرسل معنا بنى اسرائيل •

(٣٠) الآية ٥١ ـ ٦٩ من سورة الانبياء •

قال الم نربك فينا وليدا ولبث فينا من عمرك سنين • وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين • قال فعلتها اذا وأنا من الضالين • ففرت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين • وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل •

قال فرعون وما رب العالمين • قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين • قال لمن حوله ألا تستمعون • قال ربكم ورب آبائكم الأولين • قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون • قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون • قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين • قال أولو جئتك بشىء مبين • قال فأت به ان كنت من الصادقين • فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين • ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين •

قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم • يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون •• الآيات (٣١) •

وقوله فى قصة رسول الله عيسى عليه السلام :

اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيأة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئى الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين •

واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون •

(٣١) الآيات من ١٠ ـ ٥١ • من سورة الشعراء •

اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين •

قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين •

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين •

قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين •• (٣٢)

الى غير ذلك من آيات قصص المرسلين • الذين قص الله تعالى نبأهم ، ونبأ ما كان من أمرهم • وهم يبلغون دعوة ربهم الى من أرسلوا اليهم ، وما ووجهوا به من أعداء هذه الدعوة على امتداد الزمن ، واختلاف أفراد جنس البشر • ومدى صبرهم على ما لاقوه من الاذى فى سبيل تبليغ هذه الدعوة ، حتى جاءهم نصر الله الذى وعدهم به •

وعليه فان مما لا شك فيه ، أن فى هذا الانباء الذى امتدت بذكره الآيات فى مختلف سور القرآن مواساة لرسول الله ﷺ وتسرية عنه ، لما لقيه كذلك من تكذيب من كذبه من قومه ، وأعرض عما جاء به من الحق من ربه ، هذا مع مافيه من تثبيت فؤاده ، وترسيخ يقينه بنصر الله تعالى له ، وبشارته بحسن العاقبة ، التى وعد الله تعالى بها المرسلين من عباده ، وبذلك يتضح لنا جانب آخر من جوانب حكمة ذكر هذا القصص فى القرآن •

ومما يرشد الى ذلك قوله :

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » (٣٣)

(٣٢) الآيات من ١١٠ ـ ١١٥ من سورة المائدة •

(٣٣) الآية ١٢٠ من سورة هود •

وقولـه : « **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين** » (٣٤) .

وقولـه : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون » (٣٥) .

ثالثا : فى ذكر هذا القصص بشارة للمؤمنين وانذار للكافرين :

ذلك أن آيات هذا القصص انما تنبىء كذلك بدوام نصرة الله تعالى لعباده المؤمنين ، وتأييده لهم ، وتهيئته لما يمكن لهم به فى الأرض وذلك خلافا لما قضت به سنته من أخذه للكافرين بكفرهم وظلمهم وفسادهم وافسادهم فى الأرض ، مهما عظمت قوتهم ، وامتد سلطانهم ، واتسعت رقعتهم ، فانهم حتما مأخوذون بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر .

والشواهد على ذلك متعددة ، والبراهين شاهدة بهذه الحقيقة ، التى طالما أرشد اليها الحق ودل عليها ، لتكون بشارة متجددة للمؤمنين ، وانذارا متكررا للكافرين على امتداد الزمان والمكان .

أقرأ من ذلك قوله تعالى :

« كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات الواح ودسر * تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر * فكيف كان عذابى ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر * **كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر** * انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر * فكيف كان

---

(٣٤) الآية ٣٤ من سورة الانعام .
(٣٥) الآية ١٧١ ـ ١٧٣ من سورة الصافات .

عذابى ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * **كذبت ثمود بالنذر** * فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر * أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر * انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابى ونذر * انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * **كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا** الا آل لوط نجيناهم بسحر * نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر * ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر * ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر * فذوقوا عذابى ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * **ولقد جاء آل فرعون النذر** * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر * أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر * أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر .... » (٣٦) .

وقد تعددت هذه الآيات وتتابعت ، منبئة بسوء نهاية الكافرين ، ومبشرة بحسن عاقبة المؤمنين ، الأمر الذى يهدى كل ذى بصر الى الانتباه الى تلك الحقيقة وعدم الغفلة عنها ، ذلك أن سنة الله ماضية فى خلقه لا تتبدل ولا تتحول .

ولذا فانه سبحانه قد حث على السير فى الأرض والنظر فيها للوقوف على آثار الظالمين . وما حل بهم وبديارهم من الدمار والخراب تذكرة واعتبارا .

يقول تعالى : « **أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض**

---

(٣٦) الآيات من ٩ ـ ٤٥ سورة القمر .

فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله واق . ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب » (٣٧) .

ويقـــول : « فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشهد أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصـــار ولكن تعمى القلوب التى فى الصـــدور » (٣٨) .

ويقـــول : « فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا » (٣٩) .

وهكذا جاءت هذه الآيات وغيرها تؤذن بسوء نهاية الكـــافرين ، وتحض على الانتباه واليقظة والنظر فى عاقبتهم بقلوب واعية ، وآذان صاغية ، وأعين مبصرة ذلك أن سنة الله فى الظالمين لا تتبدل ولا تتغـــير ، ونصرته لعباده المؤمنين دائمة وباقية بما وعد ، ووعده لا يتخلف .

وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعملون » (٤٠) .

قال تعالى : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » (٤١) .

وقـــال : « وعـــد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــالحات ليســـتخلفنهم فى الأرض كما اســـتخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم

---

(٣٧) الآية : ٢١ من سورة غافر .
(٣٨) الآية : ٤٥ ـ ٤٦ من سورة الحج .
(٣٩) الآية : ٤٣ ـ ٤٤ من سورة فاطر .
(٤٠) الآية : ٦ من سورة الروم .
(٤١) الآية : ٥١ من سورة غافر .

دينهـــم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعـــبدوننى لا يشركون بى شـــيئا ومن كفر بعد فأولئك هم الفاســـقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون . لا تحســـبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير » (٤٢)

وبهذا البيان تتألق الحكمة من ذكر هذا القصص فى القرآن لدى كل ذى بصر وبصيرة من هذا الجانب أيضا .

رابعا : فى ذكر هذا القصص بيان لوحدة أصول الدين الاســـلامى على امتداد رســـالات الله ورسله .

ذلك أن آيات هذا القصص قد أنبأت كذلك بما دعا اليه جميـــع رسل الله قاطبة ، من أولهم حتى آخرهم وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ ، حيث هدت الى أنهم جميعا قد دعوا الى : الايمان بالله تعالى وحده ، والقيام بعبادته دون سواه . و"تصديق برسله وبما جاءوا به من الحق من ربهم . واليقين باليوم الاخر وما فيه من الثواب والعقاب .

ومما يهدى الى ذلك ويرشد اليه قوله تعالى : « لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخـــاف عليكم عذاب يوم عظيـــم قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضـــلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون » .

وقـــوله : « وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفـــروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين » .

---

(٤٢) الآية : ٥٥ ـ ٥٧ من سورة النور .

وقـــوله : « وإلى ثمود أخاهم صـــالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم » ٠

وقـــوله : « وإلى مدين أخاهم شـــعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قـــد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والمـــيزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وإن كان طائفة منكم آمنـــوا بالذى أرسلت به وطـــائفة لم يؤمنوا فاصـــبروا حتى يحـــكم الله بيننا وهو خـــير الحـــاكمين » (٤٣) ٠

الى غير ذلك من الآيات القـــرآنية التى تهدى الى بيان وحـــدة أصول رسالات الله تعالى — رسالة بعد رسالة — ذلك أنها جميعها من الله تعالى وحده ، والرسل جميعا مبلغون عن الله ، فكيف والأمر كذلك تختلف أو يختلفون ٠

ولذلك يقول سبحانه : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون » (٤٤)

الأمر الذى يهدى إلى وجوب التصديق بجميع الرسالات والرسل دون تفـــريق ٠

يقول ســـبحانه : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقـــالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » (٤٥) ٠

---

(٤٣) الآية : ٥٩ — ٨٧ من سورة الأعراف ٠
(٤٤) الآية : ٢٥ من سورة الأنبياء ٠
(٤٥) الآية : ٢٨٥ من سورة البقرة ٠

ويقـــول : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (٤٦) ٠

وبهذا يتضح لنا أن دين الله واحد — ألا وهو الاســـلام — الذى ارتضاه الله تعالى دينا لعباده ، وعليه فليس هنـــاك أديان لله تعالى ٠

قال تعالى : « ان الدين عند الله الاسـلام » (٤٧)

وقال : « ومن يبتغ غير الإســـلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٤٨) ٠

وقال : « اليـــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضـــيت لكم الإسلام دينا » (٤٩)

وعليه : فأصول هذا الدين واحـــدة لا تتباين ولا تختلف ، وان تعددت الشرائع والمناهج ، وذلك حسب احاطة علم الله تعالى بما يقتضيه الحال فى كل زمان من الشرائع والمنـــاهج المتعددة القائمة على الحـــق والعدل والحـــكمة ٠

قال تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا » (٥٠)

وقد ختمت بما جاء به خاتم النبيين والمرسلين ســـيدنا محمد ﷺ الى بقول :

« مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دار فأتمها وأكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة ٠

---

(٤٦) الآية : ٦٤ من سورة آل عمران ٠
(٤٧) الآية : ١٩ من سورة آل عمران ٠
(٤٨) الآية : ٨٥ من سورة آل عمران ٠
(٤٩) الآية : ٣ من سورة المائدة ٠
(٥٠) الآية : ٤٨ من سورة المائدة ٠

فأنا اللبنة وانا خاتم النبيين » (٥١) ٠

خامسا : فى ذكر هذا القصص بيان لمفتريات المفترين من أهل الكتاب ودحض لمزاعمهم الباطلة ٠

ذلك أن آيات هذا القصص قد أنبأت أيضا بما افتراه المفترون من أهل الكتاب على الله تعالى ونسبوه اليه سبحانه مما لا يليق بعظمته ، ولا ينبغى لجلاله وسلطانه ،وما زعموه كذلك فى حق رسله، واختلقوه من عند أنفسهم من الدعاوى الزائفة والاباطيل الكاذبة المتعددة تلك التى دحضها الحق تبارك وتعالى فى كثير من هذه الآيات ، المتعلقة بقصص هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ٠

أقرأ منها قوله تعالى :

« وقالت اليهود عزيرا بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » ٠ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرن » (٥٢) ٠

وقوله : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيد كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نار للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين » (٥٣) ٠

---

(٥١) صحيح البخارى ومسلم ٠
(٥٢) الآية : ٣٠ ـ ٣٢ من سورة التوبة ٠
(٥٣) الآية : ٦٤ من سورة المائدة ٠

وقوله : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاجبتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرن بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » (٥٤) ٠

وقوله : « كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ٠ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » ٠

وقوله : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ٠ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ٠ أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ٠ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون ٠ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ٠ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ٠

---

(٥٤) الآية ٦٥ ـ ٧١ ٠
(٥٥) الآية ٩٣ ـ ٩٥ ٠

بلى من كذب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٥٦) .

الى غير ذلك من الآيات القرآنية ، التى أنبأ الحق تبارك وتعالى فيها بما يدل على فساد وافساد أولئك المغضوب عليهم والضالين — من أهل الكتاب — الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا .

وانها لحكمة بالغة أن تتكرر كذلك هذه الآيات منذرة بسوء نهاية هؤلاء المفسدين فى الأرض هم ومن على شاكلتهم من أعداء الحق — الذين يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

* * *

سادسا : فى ذكر هذا القصص انباء لهذه الأمة بدعوة الرسل ورسالاتهم التى أرسلوا بها الى الناس على امتداد الزمن واختلاف الأمم ، رسولا بعد رسول ، وأمة بعد أمة .

وبهذه الابناء يتسنى لهذه الأمة — أمة خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ أن تشهد على الناس يوم القيامة بما كان منهم ازاء دعوة الرسل الذين جاءوهم بالبينات من ربهم ايمانا منهم ويقينا بما أنزله الله تعالى على رسوله من الحق ، وفصله فى كتابه من الحقائق والوقائع ، التى أنزلت بالحق ، وبالحق نزلت . ومما يرشد الى هذه الشهادة قوله سبحانه :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٥٧) .

---

(٥٦) الآية ٧٥ — ٨٢ من سورة البقرة .

(٥٧) الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

وقوله : « **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس** » (٥٨) .

ومما يدل لذلك من السنة كذلك ما جاء فى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

قال رسول الله : يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة .

فيقول : لبيك وسعديك يارب .

فيقول : هل بلغت ؟

فيقول : نعم .

فيقال لأمته : هل أبلغكم ؟

فيقولون : ما أتانا من نذير .

فيقل : من يشهد لك ؟

فيقول : محمد وأمته .

فيشهدون أنه قد بلغ .

ويكون الرسول عليكم شهيدا . فذلك قوله .

« **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** » .

يقول القرطبى فى تفسيره :

« وذكر هذا الحديث مطولا ابن المبارك بمعناه .

---

(٥٨) الآية ٧٧ ، ٧٨ من سورة الحج .

وفيه : فتقول تلك الأمم : كيف يشهد علينا من لم يدركنا ؟ .

فيقول لهم الرب سبحانه : كيف تشهدون على من لم تدركوا ؟

فيقولون : ربنا بعثت الينا رسولا ، وأنزلت الينا عهدك وكتابك وقصصت علينا أنهم قد بلغوا ، فشهدنا بما عهدت الينا .

فيقول الرب : صدقوا . فذلك قوله عز وجل :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا — والوسط — العدل لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٥٩) .

وبهذا يتضح لنا عظم شأن مسئولية هذه الأمة نحو فقه آيات كتاب ربها ، ذلك أنها مسئولة وموقوفة بين يدى ربها لأداء هذه الشهادة يوم الفصل . يوم يقوم الناس لرب العالمين .

فهلا وقفنا عند هذه الحقيقة كذلك ، وأدركنا ما تستوجبه من دراسة كتاب الله وما جاء فيه من الحق وأنبأ به من قصص السابقين وواقع أمرهم أداء لهذه الشهادة — شهادة الحق والعدل ، تلك التى يكون الرسول ﷺ على أهلها شهيدا .

قال تعالى : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا » (٦٠) .

وأخيرا :

فلقد كانت تلك هى بعض الحكم والأسرار المتعلقة بذكر القصص فى القرآن ، ومن رام المزيد منها فعليه بمزيد من التتبع والاستقصاء لآيات هذا القصص ، التى لا ينضب عطاؤها ، ولا تحد حكمها ، ولا تنتهى أسرارها ، شأن كلمات ربى التى لا تنفد .

---

(٥٩) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٣٧ ط الشعب .

(٦٠) الآية : ٤١ ، ٤٢ من سورة النساء .

« الحكمة من تكرار ما تكرر ذكره من قصص القرآن »

بعد هذا البيان ، الذى أوجزنا فيه الحديث عن حكمة ذكر قصص السابقين من المرسلين وغيرهم فى القرآن الكريم ، يلقانا هذا السؤال الذى يحتاج الى جواب يجلى حقيقته ، ويهدى الى معالمه ، ويرشد الى غايته .

والسؤال هو : لماذا تكرر ذكر كثير من قصص النبيين والمرسلين كآدم ، ونوح ، وهود صالح ، ولوط وشعيب ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى وغيرهم من المرسلين ومن أرسلوا اليهم من الأمم الذين جاءوهم بالبينات من ربهم وذلك فى غير موضوع من آيات القرآن وسوره ؟ .

والجواب فى غير اسهاب هو :

أولا : فى هذا التكرار مزيد من التنبيه والتقرير لما جاءت به آيات هذا القصص من الحقائق ، وأرشدت اليه من المعانى ، وحثت عليه من التفكر والاعتبار .

ذلك انه كلما تكرر ذكر الشىء وأعيد بيانه كلما أدى هذا الى زيادة الانتباه اليه ، وعدم الغفلة عنه ، الأمر الذى يترتب عليه مزيد تثبيته فى النفس ، وتقريره فى القلب — قلب كل ذى بصر ونفسه .

والقصص القرآنى كما علمت قصص هادف الى أسمى المقاصد ، وأجل الغايات ، الهادفة فى جملتها ، والباعثة فى حقيقتها الى صحة الاعتقاد ونقاء السريرة ، وسلامة الفكر ، وحسن السلوك واستقامته على الجادة — جادة الحق — ولذا اقتضت ارادة الله وحكمته البالغة تكرير هذا القصص ، المرة تلو الاخرى على أنحاء متعددة من القول والبيان ، تنبيها وتقريرا لما جاء به من الحق ، وهدى اليه من الأمور التى تستوجب دوام الانتباه اليها ، وعدم الغفلة عنها ، والتفكر فيها وفيما تنبىء به وتدعو اليه ، فهلا أدركنا تلك الحقيقة ، وعملنا على فقه آيات هذا

القصص ، واستكشاف اسراره ، وبثها فى النفوس وفى القلوب،حتى تهتدى الى سبيل المهتدين ، وتنأى عن الغفلة والضلالة التى أخذ الله تعالى بها المكذبين الضالين على امتداد الزمن حيث ان سنته ماضية فى خلقه ، لا تتبدل ولا تتغير .

يقول السيوطى فى الأتقان:(٦١) وهو — أى التكرير — أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة ، خلافا لبعض من غلط وله فوائد ، منها : التقرير . وقد قيل ، الكلام اذا تكرر تقرر أى ثبت واستقر فى النفس وفى القلب معا .

ويقول : وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرر الأقاصيص والانذار فى القرآن بقوله : « وصرفنا فيه — أى فى القرآن الكريم — من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث ذكرا » (٦٢) هذا ولما كان للتكرار هذه الأهمية وتلك الغاية المرجوة ، فقد ذهب علماء النفس والتربية الى القول بأهميته وعظيم فائدته ، والسبب فى ذلك على حد تعبيرهم « أن الفكرة اذا عرضت للمخ ورحب بها وقتا أثرت فيه أثرا كبيرا ، ثم تحولت الى عمل ، وأن الفكرة لأول عرضها تؤثر فى المخ أثرا ما وكلما تكررت كبر أثرها وسهل ورودها ، وانتجت العمل لا محالة ، ثم يصير ذلك عادة بالتكرار ، وقد ترفض الفكرة لأول مرة ، ولكن كثرة ورودها على المخ تجعله يقبلها »(٦٣) .

وبهذا يتضح لنا أهمية التكرار فيما تكرر ذكره من قصص القرآن. القصص الحق ، القصص الهادف الى أسمى الأهداف ، وأجل الغايات ، الهادفة الى سعادة الفرد والجماعة والأمة فى جميع الشئون والقضايا ، الدينية والدنيوية على السواء ، قال تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاء فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » (٦٤) .

---

(٦١) انظر ج ٣ ص ٢٣٠ .
(٦٢) الآية ١١٣ من سورة طه : .
(٦٣) انظر روح الاجتماع للأستاذ أحمد أمين .
(٦٤) الآية ١٢٠ من سورة هود ٦٤ .

ثانيا : فى هذا التكرار اضافة جديدة وزيادة لم يسبق ذكرها فيما نزل من آياته .

ذلك أن آيات هذا القصص قد نزلت متفرقة شأن جميع آيات القرآن، التى أنزلها الله تعالى متفرقة على رسوله ﷺ ، الأمر الذى يهدى الى أن الحق سبحانه قد أنزل فى كل نجم من نجوم هذا القصص ما اقتضت الحكمة الالهية تنزيله وبيانه من آياته المحكمة وذلك فى مختلف سور القرآن . ومما يهديك الى ذلك قصة آدم عليه السلام — فإنها قد ذكرت حسب ترتيت نزول السور التى جاءت فيها فى سورة ا — « ص » وفيها يقول عز شأنه :

« اذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ، قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين . قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتى الى يوم الدين . قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون.قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال فالحق والحق أقول . لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين » (٦٥) .

ب — وفى سورة « الأعراف » وقد نزلت بعد سورة ص وفيها يقول تعالى : **« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ امرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين قال انظرنى**

---

(٦٥) الآية ٧١ — ٨٣ .

الى يوم يبعثون · قال إنك من المنظرين · قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم · ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين · قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين · ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونان من الظالمين · فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين · فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين · قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين · قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين » (٦٦) ·

وفى سورة « طه » وقد نزلت بعد سورة الأعراف ببضع سور يقول سبحانه : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما · واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى · فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى · إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى · وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى · فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى · فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى · ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » (٦٧) ·

د — وفى سورة « الإسراء » وقد نزلت كذلك بعد سورة « طه » ببضع سور يقول سبحانه : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا

(٦٦) الآية ١١ — ٢٤ ·
(٦٧) الآية ١١٥ — ١٢٣ ·

إلا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا · قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا · قال اذهب من تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا · واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا · إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » (٦٨) ·

هـ — وفى سورة « الحجر » وقد نزلت بعد سورة « الإسراء » يقول تعالى : « اذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون · فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين · فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين · قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون · قال فاخرج منها فإنك رجيم · وان عليك اللعنة الى يوم الدين · قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فأنك من المنظرين · الى يوم الوقت المعلوم · قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين · قال هذا صراط على مستقيم · إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » (٦٩) ·

و — وفى سورة « الكهف » وقد نزلت بعد سورة الحجر بجملة من السور يقول عز شأنه : « وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا »(٧٠) ·

ز — فى سورة « البقرة » وهى من السور المدنية يقول سبحانه : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من

(٦٨) الآية ٦١ — ٦٥ ·
(٦٩) الآية ٢٨ — ٤٢ ·

يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون ٠ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ٠ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ٠ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ٠ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ٠ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ٠ فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ٠ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ٠ قلنا أهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٧١) ٠

تلك هى آيات قصة آدم فى القرآن الكريم ، مرتبة حسب ترتيب نزول السور التى جاءت فيها ، وذلك كما ذكر السيوطى فى الاتقان ٠٠ وبقراءة هذه الآيات وتدبرها نجد أنها فى كل سورة من هذه السورة ، قد اشتملت على ذكر معنى جديد ، واضافة جديدة محكمة لم تذكر فى غيرها من السور ، الأمر الذى يدل على ما وراء هذا التكرار من بالغ الحكمة ، وسمو الغاية ، ومما يدل لذلك ويهدى اليه ، ما جاء فى آيات هذه القصة فى سورة البقرة من إخبار الله تعالى وملائكته بأنه جاعل فى الأرض خليفة ، وما تبع ذلك من استفهام الملائكة عن أمر هذا الخليفة ، وعما سيكون منه ٠٠

وكذلك الإخبار عن تعليمه الأسماء كلها ، وما تبع ذلك أيضا من الحقائق ، التى انفردت بها آيات هذه القصة فى هذه السورة ٠ وهكذا نجد عند التتبع والدرس أن فى كل موضوع تكررت فيه القصة القرآنية

(٧٠) الآية ٥٠ ٠
(٧١) الآية ٣٠ ـ ٣٨ ٠

زيادة شىء ، واضافة معنى لم يسبق ذكره فيما نزل من آياته ، الأمر الذى يهدينا الى ما وراء هذا التكرار من الحكمة من هذه الناحية ٠

ثالثا : فى هذا التكرار عموم فى الانتشار وزيادة فى الفائدة ٠

ذلك أن من يسبق له الاستماع الى ما أنزل من آيات هذا القصص فى أول نزوله فتحصل له الافادة بتكراره ، وبذلك يزداد فى الانتشار هنا وهناك بين الناس ، ومن سبق له الاستماع الى ما نزل منه فتحصل له زيادة التأكيد وزيادة المعرفة بما جاءت به الآيات المكررة من جوانب الاضافة التى سبقت الاشارة وليها ٠

وعليه فلولا هذا التكرار لوقعت قصة موسى عليه السلام مثلا الى قوم ، وقصة عيسى عليه السلام الى قوم آخرين وكذلك سائر هذا القصص المكرر ، ولكن الله تعالى العليم الخبير قد اقتضت حكمته اشتراك الجميع فيه لما وراء ذلك من عظم الغاية ، وأهمية الفائدة ، تلك التى أوقفناك على جانب منها من قبل ، وبذلك يتضح لنا اهمية تكرار ما تكرر ذكره من قصص القرآن من هذا الجانب أيضا ٠

* * *

رابعا : فى هذا التكرار دلالة واضحة على تمام فصاحة آيات كتاب الله وبلوغها حد الاعجاز فى كل نحو جاء عليه ٠

ذلك ان آيات هذا القصص القرآنى قد عرضت على أنحاء متعددة من أوجه القول والبيان ٠ من نحو الاجمال والتفصيل ، والذكر والحذف والتقديم والتأخير ، والوصل والفصل وغير ذلك من أوجه القول وعباراته ، وأساليبه المختلفة ، تلك التى تبلغ كل منها الغاية فى الفصاحة والذروة فى البلاغة التى يعجز البلغاء والفصحاء عنها ٠ وعجز أولئك الذين بلغوا

الغاية فى الفصاحة ، وتسنمو الذروة فى البلاغة ، أدل دليل وأظهر شاهد على تلك الحقيقة .

يقول الأستاذ الدكتور محمد شيخون فى كتابه : الاعجاز فى القرآن لتحقيق غرضين هامين تحت ظاهرة التكرار ان تكرار بعض القصص والاخبار يأتى لتحقيق غرضين هامين :

الأول : انهاء حقائق الدين ومعانى الوعد والوعيد الى النفوس بالطريقة التى تألفها . وهى تكرار هذه الحقائق فى صور وأشكال مختلفة من التعبير والأسلوب . ولقد أشار القرآن الى هذا الغرض بقوله : ولقد صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا »(٧٢)

قال الزركشى : وحقيقته — أى حقيقة التصريف اعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسى الأول لطول العهد به » (٧٣) .

الثانى : اخراج المعنى الواحد فى قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارة ، وبأساليب مختلفة تفصيلا واجمالا ، وتصريف الكلام فى ذلك ، حتى يتجلى اعجازه ، ويستبين قصور الطاقة البشرية عن تقليده ، أو اللحاق بشأوه ..

ومن هنا كان من المحال أن تعثر فى القرآن كله على معنى يتكرر فى أسلوب واحد من اللفظ ، ويدور ضمن قالب واحد من التعبير . بل لا بد أن تجد التركيز فى كل مرة منها على جانب معين من جوانب المعنى ، أو القصة ، ولنضرب لك مثالا على هذا الذى نقول : بقصة موسى عليه السلام اذ أنها أشد القصص فى القرآن تكرارا . فهى من هذه الوجهة تعطى فكرة كاملة على هذا التكرار .

---

(٧٢) الآية ١٣ من سورة طه .
(٧٣) البرهان فى علوم القرآن ج ٣ ص ١٠ .

وردت هذه القصة فى حوالى ثلاثين موضعا ، ولكنها فى كل موضع تلبس أسلوبا جديدا ، وتخرج اخراجا جديدا يناسب السياق ، الذى وردت فيه ويهدف الى هدف خاص لم يذكر فى مكان آخر ، حتى لكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل .

واليك مثالا آخر . هو قصة نوح عليه السلام ، فقد وردت فى سورة هود (٧٤) ثم أعيد ذكرها فى سورة القمر (٧٥) اقرأ أنت نفسك القصة فى السورتين ، ثم تأمل فى كلا النصين ، وقارن بين اسلوب كل منهما ، طريقته فى العرض والتصوير ، والجانب المعنوى ، الذى ركز عليه التعبير فى كل منهما ، فانك ان تأملت فى ذلك جيدا تخيلت انك انما تقرأ فى المرة الثانية خبرا جديدا يشوقك أمره وتفجؤك أحداثه ، وشعرت أن النفس بحاجة الى أن يعرض عليها هذا الخبر من كلا الجانبين ، وبكلا الأسلوبين » (٧٦) .

وبهذا يتضح لنا كذلك أهمية التكرار فيما تكرر ذكره من قصص القرآن من هذه الناحية أيضا .

خامسا : فى هذا التكرار مزيد من التحدى والاعجاز لمنكرى اعجاز القرآن .

ذلك أن الله تعالى قد تحدى المنكرين لاعجاز القرآن الكريم وطالبهم بأن يأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين فى ادعائهم بأن محمدا قد تقوله وافتراه كما يزعمون، وذلك حيث يقول **أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين (٧٧) فلما لم يأتوا بذلك وعجزوا**

---

(٧٤) وهى فى جملتها اثنتان وعشرون آية محصورة ما بين قوله تعالى : ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى بكم منه نذير مبين » وقوله تعالى « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ... » الآية .
(٧٥) من الآية ٩ الى الآية ١٥ .
(٧٦) انظر الاعجاز فى نظم القرآن ص ٧٤ .
(٧٧) الآية ٣٣ — ٣٤ من سورة الطور .

وهو سبحانه وتعالى عليم بعجزهم طالبهم بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات وأن يدعوا لذلك من استطاعوا من دون الله . وفى هذا يقول : **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (٧٨) .**

فلما عجزوا عن ذلك أيضا طالبهم بأن يأتوا بسورة مثله وأن يدعو لهـا كذلك كل من استطاعوا من دون الله . وفى هـذا يقـول : **« أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صـادقين » (٧٩) .**

فلما عجزوا عن ذلك أيضا أخبر بأنه ان اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض مؤازرا ومساعدا . كرر سبحانه وتعالى ذكر هذا القصص القرآنى على تلكم الانحاء المتعددة من أوجه القول والبيان التى سبقت الاشارة اليها من قبل مبالغة فى التحدى الاعجاز ، حتى لا يقال عند عدم التكرار ائتـونا أنتم بسورة من مثله .

وعليه : فدفعا لذلك تكررت القصة ، وأعيدت على نحو ما أعيدت عليه من أنحاء القول والبيان ، الذى يأخذ بالألباب ـ ألباب الراشدين ـ الذين هداهم الله وآمنوا بأن القرآن كلام الله ، أنزله على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد ﷺ آية شاهدة بصدقه ، ومعجزة باقية هادية الى وجوب التصديق به وبمـا جاء به من الحق الى يوم الدين .

وهكذا يتضح لنا أهمية تكرار هذا القصـص القرآنى من هـذه الناحية كذلك .

وأخيرا : فلقد كانت تلك هى بعض حكم تكرار ما تكرر ذكـره من قصص القرآن ، ومن رغب فى المزيد منها فعليه بمزيد البحث والدرس فى

---

(٧٨) الآية ١٣ من سورة هود .
(٧٩) الآية ٣٨ من سورة يونس .

تتبع هذا القصص واستقرائه والوقوف عند دقائقه ، التى تشتمل عليها آياته ، على اختـلاف مواضـعها ومواطنهـا المحكمة ، تلك التى تستقل كل منها بمعنى وهدف جديد من معانى وأهداف هذا القصص المكرر ، الأمر الذى يدل على ما وراء هذا التكرار من دلائل الحكمة ، ودقائق الأسرار ، التى تهدى اليهـا آيات هذا الكتاب العزيز ، الذى تقشـعر منه الجلود ، جلود الذى يخشون ربهم .

قال تعالى : **« الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضال الله فما له من هاد »(٨٠) .**

* * *

---

(٨٠) الآية ٢٣ من سورة الزمر .

« الحكمة من عدم تكرار ما لم يتكرر ذكره »
من قصص القرآن

كما اشتمل القرآن الكريم على هذا النوع من القصص المكرر ، فانه كذلك قد اشتمل على نوع آخر لم يتكرر ذكره ، ومما لا شك فيه أن وراء عدم تكراره حكما كذلك واسرارا تقتضى الذكر والبيان وتتمه للبحث. أذكر لك فى هذا ما ذكره السيوطى فى الاتقان نقلا عن البدر بن جماعة . وقد سئل ما الحكمة فى عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقا واحدا دن غيرها من القصص .

وأجيببوجوه :

أحداها : أن فيها تشبيب النسوة به ، وحال امرأة افتتنوا بأبدع الناس جمالا .فناسب عدم تكرارها لما فيه من الاغضاء والستر .

ثانيا : أنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص فإن مآلها الى الوبال ، كقصة إبليس ، وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم . فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعى على نقلها لخروجها عن سمت القصص .

ثالثا : قال الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني . انما كرر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقا واحدا اشارة الى عجز الغرب. كأن النبى ﷺ قال لهم ، ان كان من تلقاء نفسى فافعلوا فى قصة يوسف ما فعلت فى سائر القصص .

يقول السيوطى : قلت وظهر لى جواب رابع . وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم . كما رواه الحاكم فى مستدركه ، فنزلت مبسوطة تامة ، ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة ، وترويح النفس بها ، والإحاطة بطرفيها .

وجواب خامس : وهو أقوى ما يجاب به أن قصص الأنبياء انما كررت لأن المقصود بها افادة اهلاك من كذبوا رسلهم ، والحاجة داعية الى ذلك ، لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله ﷺ فكلما كذبوا أنزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين . ولهذا قال تعالى فى آيات : « **فقد مضت سنة الأولين** » . « **ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن** » .

وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك .

وبهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ، وقصة موسى مع الخضر ، وقصة الذبيح .

ويقول : فإن قلت . قد تكررت قصة ولادة يحيى ، وولادة عيسى مرتين ، **وليست من قبيل ما ذكرت .**

قلت : **الأولى فى سورة** « كهعيص » وهى مكية أنزلت خطابا لأهل مكة . والثانية فى سورة « آل عمران » وهى مدنية أنزلت خطابا لليهود ولنصارى نجران حين قدموا . ولهذا اتصل بها ذكر المحاجة والمباهلة » ا . هـ (٨١) .

أقول : وبهذا يتضح لنا كذلك جانب آخر من جوانب حكمة عدم تكرير ما لم يتكرر ذكره من قصص القرآن .

وأخيرا فلعلنا بهذه العجالة نكون قد وفقنا الى بيان ما يجب الايمان به عند ذكر هذا القصص القرآنى من اليقين بما جاء فيه من الحق ، وأرشد اليه من الهدى ، ودل عليه من الاعتبار . واشتمل عليه من الحكم والاسرار التى تقتضى منا مزيدا من الدرس والفقه لكل ما جاء فيه من

---

(٨١) انظر الاتقان ج ٣ ص ٢٣٥ .

الحق ، الذى لا افتراض فيه ، ولا مجاراة لما عند الناس من علـــوم ومعارف ، كما توهم المتوهمون ، وادعى المـدعون من أعـداء الحـق ومقلـــديهم .

قال تعـالى : « إن هذا لهو القصص الحق » .

وقـال : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمـة قوم يؤمنـون » .

وقـال : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » .

ووقـال : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل »

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .